بسم الله الرحمن الرحيم

غزة تغرق تحت المطر.. فأين الراعي وأين مسؤولية الأمة؟!

الخبر:

غمرت مياه الأمطار الغزيرة، السبت، الآلاف من خيام النازحين الفلسطينيين في مناطق متفرقة من قطاع غزة، فيما أصيب ٤ فلسطينيين إثر انهيار جدارين لمبنيين متضررين من قصف سابق شمالي القطاع ووسطه.

وأعلن المكتب الإعلامي الحكومي في غزة غرق ٧٠ ألف خيمة للنازحين وانهيار عشرات الجدران خلال ١٢ ساعة من بدء منخفض جوي في القطاع، قائلاً إن الانهيارات أسفرت عن إصابات، فيما قدّر الخسائر الأولية المباشرة بنحو ٣ ملايين دولار. (القدس العربي)

التعليق:

ليس أشدَّ إيلاماً على الأمة من أن ترى أبناءها يُشرَّدون من ديارهم، وتُهدم بيوتهم فوق رؤوسهم، ثم تأتي الأمطار لتغرق خيامهم البالية، وتزيد جراحهم جراحاً، وكأن أهل غزة قد كُتب عليهم أن يواجهوا الموت في كل فصل من فصول المعاناة؛ فمن قصف الاحتلال إلى برد الشتاء، ومن أنقاض البيوت إلى خيام لا تقي حرّاً ولا برداً!

إن ما يحدث في غزة، ليس مجرد كارثة طبيعية أو أزمة إيواء عابرة، بل هو شاهد جديد على مأساة شعب تُرك وحيداً في مواجهة آلة القتل والتدمير والحصار، وعلى عجز دول وحكام جعلوا بيانات الإدانة بديلاً عن المسؤولية الحقيقية في حماية الناس ورعاية شؤونهم.

فأين أمة المليار مسلم؟ وأين حكامها من مسؤوليتهم عن أهل غزة؟

إن الإسلام لم يجعل رعاية الناس وإغاثة الملهوفين من قبيل التفضل والإحسان الذي يُترك للمبادرات الفردية، بل جعلها من صميم مسؤولية الحكم وأمانة السلطان؛ فقد قال رسول الله ﷺ: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**.

فالحاكم في الإسلام ليس صاحب سلطة يتباهى بها، ولا حارساً لمصالح القوى الدولية، وإنما هو راعٍ مؤتمن على دماء الناس وأعراضهم وأموالهم وأمنهم ومعاشهم، ومحاسب أمام الله عن كل تفريط في حقوقهم.

ولنا في تاريخ الإسلام شواهد عظيمة تكشف حقيقة هذه الرعاية.

ففي عام الرمادة، حين أصاب الناس القحط والمجاعة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يقف أمير المؤمنين متفرجاً على معاناة الناس، ولم يكتفِ بإصدار بيانات المواساة، بل استنفر إمكانات الدولة، وكتب إلى ولاته في الأمصار يستمد منهم الطعام والإمدادات، وأقام نظاماً لإطعام الوافدين إلى المدينة، وأحصى المحتاجين، وتابع أحوالهم بنفسه.

ويذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أن أبا هريرة رضي الله عنه رأى عمر عام الرمادة يحمل الطعام والزيت على ظهره، حتى وصل إلى جماعة من العرب نزلوا بالمدينة من شدة الجهد، فوجدهم في حال من العوز الشديد، فأخذ يطبخ لهم حتى شبعوا، ثم أرسل من يأتي بالإبل ليحملهم، وكساهم، وظل يتعاهدهم حتى انكشفت الأزمة.

ولم تكن مسؤولية عمر رضي الله عنه محصورة في توفير الطعام فحسب، بل امتدت إلى متابعة أحوال الناس وتفقدهم بنفسه، حتى كان يخرج ليلاً يتلمس حاجاتهم.

هذه ليست حكايات تُروى للتسلية، بل نماذج من تاريخ أمة أدرك حكامها أن الحكم أمانة، وأن الجائع مسؤوليتهم، وأن المشرد لا يجوز أن يُترك لمصيره.

فشتان بين حاكم يحمل الطعام إلى المحتاجين على ظهره، وحاكم لا يحمل إلى المظلومين إلا بيانات الشجب والاستنكار!

إن الإسلام أقام مجتمعاً متكافلاً، ودولة ترعى شؤون الناس، وتجعل من بيت المال وسيلة لتحقيق مصالح الرعية، وتوفير حاجاتهم الأساسية، وحماية الضعفاء، وإغاثة المنكوبين، ولم يجعل حياة الناس رهينةً لتقلبات المساعدات والمنح الدولية أو خاضعةً لحسابات المصالح السياسية.

أما قضية غزة، فلا يمكن فصلها عن واقع التجزئة السياسية التي جعلت بلاد المسلمين كيانات متفرقة، وأضعفت قدرتها على حماية أهلها، حتى صار شعب محاصر لا يجد من يرفع عنه الحصار، ولا من يوفر له الحماية، ولا من يمنع عنه آلة التدمير.

إن أهل غزة ليسوا غرباء عن الأمة، ولا شعباً بعيداً عنها، بل هم جزء من جسدها، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾.

فأي معنى للأخوة الإسلامية إذا استنصر أهل غزة إخوانهم، فلا يجدون إلا بيانات التضامن؟ وأي معنى لوحدة الأمة إذا بقيت حدود سايكس بيكو وحسابات الحكام أقوى من روابط العقيدة والأخوة؟

إن الواجب اليوم لا يقتصر على جمع التبرعات وإيصال المساعدات، بل يتعداه إلى محاسبة الحكام على تقصيرهم، والعمل لإيجاد كيان سياسي يجمع الأمة على أساس الإسلام، ويجعل حماية المسلمين ورعاية شؤونهم واجباً عملياً لا شعاراً موسمياً.

إن غزة اليوم لا تحتاج إلى دموعنا وحدها، ولا إلى كلمات المواساة وحدها، بل تحتاج إلى أمة تستعيد وحدتها، وحكام يدركون أنهم مسؤولون أمام الله عن رعيتهم، ودولة تجعل نصرة المظلوم وحماية المستضعف ورعاية شؤون الناس أساساً من أسس حكمها، ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

بلال زكريا